PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(9): 299-315
ISSN:1553-6939

Sufi discourse of Ibrahim bin Adham, a study on its linguistic levels

Aid Salima

Center for Scientific and Technical Research on Arabic Language Development, Research Unit - Ouargla (Algeria), E-mail: s.aiad@crstdla.dz

Received: 06/2024, Published: 09/2024

Abstract:

Sufism is a science renowned for its methodology, which involves purifying the inner self from the flaws of the soul. Originating in the Islamic lands during the 3rd century AH, practitioners of Sufism followed various turuq (Orders, singular: tariqa). Some strictly adhered to the Quran and the Sunnah of the Prophet, identifying as Sunni Sufis. Notable figures include Junayd, Ibrahim ibn Adham, and Bishr al-Hafi. Conversely, others diverged into philosophical Sufism, led by figures like al-Hallaj and Muhyiddin ibn Arabi. This article specifically delves into the Sunni Sufi discourse of Ibrahim ibn Adham, a luminary within this tariqa (Order). This discourse is be analyzed at the lexical, syntactic, and rhetorical levels.

Keywords: Sunni Sufism, Discourse, Lexical Level, Syntactic Level, Rhetorical Level..

الخطاب الصوفي عند إبراهيم بن أدهم دراسة في مستوياته اللّغوية

عياض سليمة

مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، وحدة البحث– ورقلة (الجزائر)، البريد الإكتروني: s.aiad@crstdla.dz

الملخّص:

التصوف علم يعرف به كيفية تصفية الباطن من كدرات النفس و عيوبها، و قد ظهر في البلاد الإسلاميّة في القرن الثّالث الهجري، وسلك أصحابه طرقًا عدّة؛ بعضها التزم كتاب الله وسّنّة نبيّه، وعُرف بالتصوف السني، ومن أعلامه الجنيد وإبراهيم بن أدهم وبشر الحافي، وبعضها حاد عن ذلك؛ وعُرف بالتصوف الفلسفي، ومن أعلامه الحلاج ومحيي الدين بن عربي؛ وسنخصّص هذا المقال للحديث عن الخطاب الصوفي السني لدى أحد رموز هذا التيار وهو إبراهيم بن أدهم، من خلال تحليل هذا الخطاب، و الوقوف على مستوياته اللّغوية والمتمثلة في المستوى المعجمي، والمستوى النحوي، والمستوى البلاغي.

الكلمات المفتاحية: تصوف سني–خطاب–مستوى معجمي–مستوى نحوي–مستوى بلاغي.

1.مقدّمة:

التصوف السني هو تصوف عملي، يهتمّ بتربية النفس وتزكية الرّوح بما يتوافق مع كتاب الله وسنة نبيّه، لتمكين العبد من الارتقاء في منازل سيره إلى ربه، والتصوّف هو العمل بالشريعة انطلاقا من الحديث المشهور(مسلم، 1427–2006، الصفحات 24–23)الذي رواه عمر بن الخطاب عن النبي(ﷺ)، والذي جاء فيه تعريف للإسلام، وآخر للإيمان وآخر للإحسان، هذا الأخير الذي عرّفه

النبي(ﷺ)بقوله:"الإحسان أن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك"، فهو علم يهتم بدرجة الإحسان (العمل) المقيّدة بعقيدة سليمة، موافقة لكتاب الله وسنة نبيه(ﷺ)، والتي يحدّدها الإسلام والإيمان الذي عرّفه النبي(ﷺ)في هذا الحديث.ويعتبر التصوّف امتدادا لتيار الزهد الذي نشأ في القرنين الأوّل والثاني الهجريين، كتيار مضاد لتيار الفسق والمجون الذي انتشر في الخلافة العباسية عندما بلغت الحضارة الإسلامية ذروتها، بفعل الفتوحات الإسلامية التي غطّت مشارق الأرض ومغاربها، وأقبل المسلمون على الدنيا وملذّاتها، فنشأ تيار الزهد كنقيض لتيار المجون، وردّة فعل قوية تعيد الأمّة إلى منهج نبيها محمد(ﷺ)الذي حذّرنا من الإقبال على الدنيا، ودعانا إلى الزهد في الأكل والشرب واللّباس وكانت حياته (ﷺ) نموذجا عمليا يقتدى به في ذلك.

ويعدّ إبراهيم بن أدهم واحدا من الصوفية الذين اهتموا بتزكية النفس، وتربية الروح والارتقاء بها في مدارج السالكين، فقد حملوا على عواتقهم مسؤولية إصلاح المجتمع، ونشر قيم الإسلام السمحة وإحياء سنّة المصطفى (ﷺ)، وقد وقفنا على هذا التوجه في خطابه الصوفي ، الذي نروم دراسته في هذا المقال، انطلاقا من الإشكالية التالية:ما السمات اللّغوية والفكرية التي يحملها الخطاب الصوفي لإبراهيم بن أدهم؟ وهل يعكس تجربة صوفية سنية متكاملة؟

ويسعى هذا المقال إلى الاقتراب من فكر صوفي من الرعيل الأوّل للكشف عن تجربته الصوفية من حيث جذورها، ومصادرها، وذلك من خلال ما خلّفه لنا من حكم ومواعظ نثرية و شعرية، لنقف على ما قدّمته هذه التجربة الصوفية السنية في تربية النفس. وذلك قصد إعطاء التيار الصوفي السني حقه من الدراسة والتحليل، والكشف عن دوره في تربية الروح وتزكية النفس. وللإجابة عن الإشكالية المطروحة استعنا بالمنهج الوصفي، وانتهجنا خطّة تبدأ بجانب نظري، يحوي بعض التعريفات(تعريف الخطاب، عناصر الخطاب، وأنواع الخطاب، وتعريف التصوف، ونشأته، وتعريف التصوّف السنّي، ومصادر التصوف السنّي)، وأمّا في الشق التطبيقي فقد تطرقنا للتعريف بإبراهيم بن أدهم، من حيث نسبه، وأخلاقه، وأقوال العلماء فيه، وصولا إلى تحليل خطابه الصوفي من خلال دراسة مجموعة من مواعظه في مستوياتها اللّغوية: المعجمية، والنحوية والبلاغية، وختمنا المقال بخاتمة لأهم النتائج المتوصّل إليها.

2.مفهوم الخطاب

1.2.لغة:

-عرّفه ابن منظور في لسان العرب بقوله:"الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخِطابا، وهما يتخاطبان والخطبة مصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر، أواختطب بخطب خطابة، واسم الكلام الخطبة..."(منظور،، 1965)

-وأشار الفيروز آبادي في القاموس المحيط إلى تعريفه بقوله:"الخطب: الشأن، والأمر صغُر أو عظُم والجمع خُطوب، وخطب الخاطِب على المنبر خَطابَة بالفتح، وخُطْبة بالضمّ، وذلك الكلامُ: خُطْبَة أيضا، أو هي الكلام المنثور المسجّع ونحوه ، ورجل خطيب: حَسَنُ الخُطبةِ"(آبادي، 1426هـ-2005م، الصفحات 81-80)

-كما جاء في المعجم الوسيط:"خاطبه مخاطبة وخِطابا: كالمه وحادثه ، وخاطبه: وجّه إليه كلاما، والخطاب الكلام وفي القرآن الكريم :(**فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ**)(ص 23)"(العربية، 2004، صفحة 243)

2.2.اصطلاحا

للخطاب تعريفات كثيرة منها:

-أنّ الخطاب مَجموعةٌ مُتناسقة من الجمل، أو النصوص والأقوال، أو إنّه منهج في البحث في المواد المشكّلة من عناصر متميّزة ومترابطة سواء أكانت لغة أم شيئا شبيهاً باللغة، ومشتمل على أكثر من جملة أولية، أو أيّ منطوق أو فعل كلامي يفترض وجود راوٍ ومستمع، وفي نية الراوي التأثير على المتلقي، أو هو نص محكوم بوحدة كلية واضحة، يتألف من صيغ تعبيرية متوالية تصدر عن متحدث فرد يبلغ رسالة ما(أحمد، 2019)، ويهدف الخطاب إلى وصف التعابير اللغوية بشكل صريح، بالإضافة إلى أنّ الخطاب يفكك شفرة النص الخطابي عن طريق التعرّف على ما يحتويه النص من تضمينات وافتراضات فكريّة، وتحليل الخطاب هو معرفة الرسائل المضمّنة في النص الخطابي، ومعرفة

مقاصده وأهدافه، ويتم تحليل الخطاب عن طريق الاستنباط، والتفكير بشكلٍ منطقيّ حسب الظروف التي نشأ وكتب فيها النص الخطابي وهو ما يسمى بتحليل السياق الذي يعتمد عليه النص(نيا).

3.تعريف الخطاب عند الغرب

-عرفه هاريس بأنه ملفوظ طويل ومتتالية من الجمل، و عرّفه بنفنست بأنه كل تلفظ يفترض متكلّما ومستمعا، عند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما (يقطين، 1997، صفحة 19)

-أما تودورف فقد عرفه بأنه:" أي منطوق أو فعل كلامي يفترض وجود راوٍ، أو مستمع وفي نية الراوي التأثير على المستمع بطريقة ما"(تودروف، 1993، صفحة 48)

-وذكر ميشال فوكو أن الخطاب هو:" النصوص والأقوال كما تعطي مجموع كلماتها ونظام بنائها وبنيتها المنطقية أو تنظيمها البنائي" (فوكو، 1987، صفحة 31)

-ويرى شولتر أن الخطاب:" تلك الجوانب التقويمية والتقديرية أو الإقناعية أو البلاغية في نص ما، أي في مقابل الجوانب التي تسمى أو تشخص أو تنقل فقط"(شولتر، 1993، صفحة 48)

4.عناصر الخطاب

كي يكون الخطاب مؤثّراً ومفيداً يجب أن يكون متكامل الأطراف، وهو يقوم على عدّة ركائز أو عناصر تُنظّمه وتُقيم ركائزه، وهذه العناصر هي:

المُؤلف: أي من يقوم بتوجيه الخِطاب وتكون لديه القدرة على التكلّم والإبداع في ترتيب الكلام بشكلٍ منظّم ومترابط.

المتلقّي: أي من سيوجّه له الخِطاب، ويتميز المتلقّي بامتلاك حاسة التوقع والانتظار أثناء تلقيه الخطاب.

الرِّسالة: أي مادّة الخِطاب التي تُصاغ بصورةٍ أدبيّةٍ إبداعيّةٍ.

وسيلة الإيصال: أي قناة الوصل بين المؤلف والمتلقّي عبر الكتاب، أو وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمكتوبة، أو من خلال الإنترنت والأجهزة الذَّكيّة:(خالد، 2012، الصفحات 25-16)

5.نشأة الخطاب الصوفي

الخطاب الصوفي هو ما يسميه بعض الباحثين بالنص الصوفي، وغيرهم باللغة الصوفية. فالمراد هنا بالخطاب الصوفي ما أنتجه الصوفية من القوالب اللغوية ومحمولاتها المعنوية؛ أي الآراء والطروحات الفكرية. وقد ظهر مع بداية التصوّف الذي لم ينشأ من فراغ بل كانت بداياته مع الزهّاد والعبّاد مثل الحسن البصري، وسفيان الثوري، ورابعة العدوية، وإبراهيم بن أدهم، وكان الزّهد أصل التصوّف، ومنهم من يقول أنّ الرّسول (ﷺ) هو على رأس رجال الصوفية(ماري، 2006، صفحة 245)، ومنهم من يرجعه إلى عهد الصحابة، وهو ما يقول به ماسينيون :"ويجوز للمتصوّفة المسلمين أن يزعموا أنّه كان بين الصحابة رجلان يعدّان بحق السابقين إلى التصوّف وهما أبو ذرّ وحذيفة"(التفتازاني، 1989، الصفحات 30-29)

وبقي الأمر على حاله إلى أن اتسعت رقعة الإسلام ودخل فيه الأعاجم، وجلبوا معهم فلسفتهم ومذاهبهم الفكرية، وتصوّراتهم عن الحياة فكان لها تأثير مباشر على حركة التصوّف التي تبنّت توجّها يخالف في بعض طروحاته ما أقرّته شريعة الإسلام، بالإضافة إلى تلك العوامل التاريخية التي تكلّم عنها بعض المنظّرين للتصوّف الإسلامي، من طغيان المادّة وحياة الترف والرفاهية، وموقف بعض الصحابة والتابعين منها، وتذمرهم من المجتمع، وانعزالهم عنه طلبا للآخرة، والعودة إلى ما كان عليه سلفهم من حياة الزهد والتقشف.وأمّا مصادر التصوّف فتتمثّل في القرآن الكريم، بما جاء فيه من آيات تحث على التقلل من الدنيا والتزوّد منها للآخرة، وإيثار ما عند الله، ويتمثّل المصدر الثاني في السنّة النبوية، التي جسّدتها حياة الرسول (ﷺ) الذي اختار أن يعيش حياة الزهد داعيا إلى الله ومحذّرا من السقوط في مستنقع الدنيا،

وكانت حياته نموذجا في ابتغاء ما عند الله، بالإضافة إلى حياة الصحابة والتابعين وتابعيهم الذي عاشوا لله، وتركوا الدنيا ومتاعها طمعا في نعيم الجنّة، ولنا في حياتهم صور ونماذج يقتدى بها في هذا المسلك.

6.التعريف بإبراهيم بن أدهم:

1.6.نسبه:

هو أَبُو إِسْحَاقَ ابْرَاهِيْمُ بنُ أَدْهَمَ بنِ مَنْصُوْرِ بنِ يَزِيْدَ بنِ جَابِرٍ القُدْوَةُ، الإِمَامُ، العَارِفُ، سيد الزهاد أبو إسحاق العِجْلِيُّ وقيل : التميمي، الخراساني البلخي.ولد ببلخ وهي المدينة العظيمة التي شهدت أكبر حركة تنزع نحو التصوف والإقبال على الآخرة، وكان مَوْلِدُهُ: فِي حُدُوْدِ المائَة (الذهبي، صفحة ج7 ص387)

2.6.سبب زهده:

عن يونس البلخي قال:"كان إبراهيم بن أدهم من الأشراف، وكان أبوه كثير المال والخدم ، والمراكب والجنائب والبزاة، فبينا إبراهيم في الصيد على فرسه يركضه، إذا هو بصوت من فوقه : يا إبراهيم : ما هذا العبث ؟ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا، اتق الله، عليك بالزاد ليوم الفاقة. فنزل عن دابته، ورفض الدنيا.وفي رسالة القشيري ، قال : هو من كورة بلخ ، من أبناء الملوك ، أثار ثعلبا أو أرنبا، فهتف به هاتف: ألهذا خلقت ؟ أم بهذا أمرت ؟ فنزل، وصادف راعيا لأبيه، فأخذ عباءته، وأعطاه فرسه، وما معه، ودخل البادية، وصحب الثوري والفضيل بن عياض ، ودخل الشام ، وكان يأكل من الحصاد وحفظ البساتين، ورأى في البادية رجلا، علمه الاسم الأعظم فدعا به ، فرأى الخض ، وقال : إنما علمك أخي داود. "رواها على بن محمد المصري الواعظ (الذهبي، صفحة ج7 ص389)

7. الخطاب الصوفي عند إبراهيم بن أدهم:

إنّ من الحقائق التي لا مرية فيها أنّ الإنسان لا يتأتّى له أن يلج باب الله، أو يسير في الطريق إليه إلّا بالعبودية الخاصّة له وحده.فإذا ما تمخّضت هذه العبودية، وأصبح الإنسان من عباد الله المخلصين، وحقّق بذلك:"**إيّاك نعبد وإيّاك نستعين**" فإنّ الله سبحانه لا يجعل للشيطان عليه من سبيل:" **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا** "(الإسراء 65)

وقد تجسّدت هذه المعاني في شخصية إبراهيم بن أدهم. وقد عرفت عنه جملة من الأخلاق والصفات تؤهّله لأن يكون من الأخيار أكّد عليها في مجموعة كبيرة من الحكم والمواعظ أثرت عنه، وهي تشكّل خطابه الصوفي ، واخترنا منها هذه المجموعة:

الخطاب الأوّل:«أطب مطعمك، ولا حرج عليك أن لا تقوم الليل، ولا تصوم النّهار»(كثير ا.، 1990، صفحة 136)

الخطاب الثاني: «لقد قيل له: إنّ اللحم قد غلا، فقال: أرخصوه، وأنشد في ذلك :

وإذا غلا شيء عليّ تركته فيكون أرخص ما يكون إذا غلا»(كثير ا.، 1990، صفحة 136)

الخطاب الثالث: « وأمّا أهوائي فقد–والله–استعنت بالله عليها فأعانني، واستكفيته سوء مغالبتها فكفاني، فوالله ما آسى على ما أقبل من الدنيا ولا ما أدبر منها»

الخطاب الرابع:«أشدّ الجهاد جهاد الهوى، من منع نفسه هواها فقد استراح من الدنيا وبلائها، وكان محفوظا معافى من أذاها».(الأصفهاني، حلية الأولياء وطقات الأصفياء، 1996، صفحة 18)

الخطاب الخامس:«قلة الحرص والطمع تورث الصدق والورع، وكثرة الحرص والطمع تورث الهم والجزع» (الأصفهاني، حلية الأولياء وطقات الأصفياء، 1996، صفحة 138)

الخطاب السادس:«مَنْ عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل، ومن أطلق بصره طال أسفه، ومن أطلق أمله ساء عمله، ومن أطلق لسانه قتل نفسه» (الأصفهاني، حلية الأولياء وطقات الأصفياء، 1996، صفحة 141)

الخطاب السابع: وجاء عن أحمد بن خضرويه أن إبراهيم بن أدهم قال لرجل في الطواف حول الكعبة: «اعلم أنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات: أولاها أن تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة، والثانية أن تغلق باب العز وتفتح باب الذل، والثالثة أن تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد، والرابعة أن تغلق باب النوم وتفتح باب السهر، والخامسة أن تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر، والسادسة أن تغلق باب الأمل وتفتح باب الاستعداد للموت» (القشيري، 2001، الصفحات 134-135) .

الخطاب الثامن:-وتحدّث إبراهيم بن أدهم عن أثر الذنوب على القلوب بقوله:

رأيتُ الذنوبَ تميتُ القلوب ويورثها الذلَّ إدمانُها
وتركُ الذنوب حياةُ القلوبِ وخيرٌ لنفسكَ عصيانُها
وما أفسد الدينَ إلا الملوكُ وأحبار سوءٍ ورُهبانُها
وباعوا النفوسَ فلم يربَحوا ولم تغلُ في البيع أثمانُها
لقَد رتعَ القومُ في جيفةٍ يبينُ لذي العقلِ أنتانُها

(كثير ا.، البداية والنهاية، صفحة 141)

الخطاب التاسع:وسأل بعض الولاة إبراهيم فقال: من أين معيشتك؟ فأنشأ يقول:

نرقّع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقّع

(كثير ا.، البداية والنهاية، صفحة 141)

الخطاب العاشر:-وقال شقيق بن إبراهيم :"مرّ إبراهيم بن أدهم في أسواق البصرة ، فاجتمع الناس إليه، فقالوا له: يا أبا إسحاق إن الله تعالى يقول في كتابه: **(وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِيَ أَسْتَجِبْ لَكُمْ)**(غافر 60) ونحن ندعوه منذ دهر فلا يستجيب لنا، قال: فقال إبراهيم: يا أهل البصرة ماتت قلوبكم في عشرة أشياء: أولها: عرفتم الله ولم تؤدوا حقه، الثاني: قرأتم كتاب الله و لم تعملوا به، والثالث: ادعيتم حب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتركتم سنته، والرابع: ادعيتم عداوة الشيطان ووافقتموه، والخامس: قلتم نحب الجنة و لم تعملوا لها، والسادس: قلتم نخاف النار وزهدتم أنفسكم بها، والسابع: قلتم أن الموت حق و لم تستعدوا له، والثامن: اشتغلتم بعيوب إخوانكم ونبذتم عيوبكم، والتاسع: أكلتم نعمة ربكم و لم تشكروها، والعاشر: دفنتم موتاكم و لم تعتبروا بهم»(الأصفهاني، الصفحات ج7 ص16-15).

الخطاب الحادي عشر:-وقيل لسلطان الزاهدين إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه أوصنا بما ينفعنا! فقال رضي الله عنه: «إذا رأيتم الناس مشغولين بأمر الدنيا، فاشتغلوا أنتم بأمر الآخرة.وإذا اشتغلوا بتزيين ظواهرهم، فاشتغلوا بتزيين بواطنكم،وإذا اشتغلوا بعمارة البساتين والقصور، فاشتغلوا بعمارة القبور.واذا اشتغلوا بخدمة المخلوقين، فاشتغلوا بخدمة رب العالمين،واذا اشتغلوا بعيوب الناس، فاشتغلوا بعيوب أنفسكم. واتخذوا من هذه الدنيا زادا يوصلكم الى الآخرة، فإنما الدنيا مزرعة الآخرة» . (الحريفيش، 1308، صفحة 214)

8.الدراسة التطبيقية للنماذج المختارة:

1.8.عناصر العملية التخاطبية في النماذج المختارة :

النموذج	المرسل	الرسالة(موضوعها)	المرسل إليه(مباشر/غير مباشر)
1	إبراهيم بن أدهم	الورع	غير مباشر
2	إبراهيم بن أدهم	ضبط النفس وتربيتها على القناعة	غير مباشر
3	إبراهيم بن أدهم	التغلب على الهوى بالاستعانة بالله	غير مباشر
4	إبراهيم بن أدهم	جهاد الهوى ومغالبته	غير مباشر
5	إبراهيم بن أدهم	التحذير من الحرص والطمع	غير مباشر
6	إبراهيم بن أدهم	التحذير من طول الأمل	غير مباشر

7	إبراهيم بن أدهم	تخطي ست عقبات لنيل درجة الصالحين	مباشر
8	إبراهيم بن أدهم	أثر الذنوب على القلوب	غير مباشر
9	إبراهيم بن أدهم	العلاقة بين حبّ الدنيا وتمزيق الدين	مباشر
10	إبراهيم بن أدهم	معاص تحول دون إجابة الدعاء	مباشر
11	إبراهيم بن أدهم	وصية عارف	مباشر

2.8.المستويات اللّغوية في النماذج المختارة:

1.2.8.المستوى المعجمي الدلالي:

الخطاب 1: أطب مطعمك، ولا حرج عليك أن لا تقوم الليل، ولا تصوم النّهار

مزج المرسل في هذا الخطاب بين مجموعة من الأسماء والأفعال، ثلاثة أسماء وهي : (مطعمك، حرج، الليل، والنهار)، و ثلاثة أفعال وهي: (أطب، تقوم، تصوم)، وحرف العطف الواو، وأداة النفي (لا) بالإضافة إلى الضمائر المتصلة والمستترة.

ثبت عنه هذا القول في باب الورع، فقد كان يتحرّى الحلال ويجعله من أفضل ما يتقرّب به العبد إلى ربّه، وهو يحيلنا على فهم صحيح منه للحكمة من تشريع العبادة في الإسلام، والمتمثّلة في تقويم السلوك، فإذا لم يحصل ذلك فعلى المسلم أن يراجع عبادته، بالإضافة إلى ذلك تحرّي الحلال الذي يعدل أو يفوق في أجره قيام الليل وصوم النهار.

الخطاب 2:وإذا غلا شيء عليّ تركته فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

في هذا الخطاب الذي هو عبارة عن بيت شعري، جمع المرسل بين اسمين(شيء، أرخص)، وثلاثة أفعال(غلا، تركته، يكون)، وبين وحرف ابتداء(الواو)، وحرف العطف (الفاء)، وأداة الشرط (إذا)، والاسم الموصول (ما)، كما استعان بالضمائر المتصلة والمستترة.

نفهم من هذا النموذج أنّ إبراهيم بن أدهم كان يسيطر على نفسه التي أرغمها أن تقنع بما هو مستطاع ومقدور عليه، وأمّا إذا غلا ثمن الشيء فإنّه يتركه ولا يسأل عنه، وهي رسالة يبعثها إلى المسلم ينصحه فيها بعدم الرضوخ لمطالب النفس التي لا تتوقّف وترويضها على الاكتفاء بما هو متاح، وفي الوقت نفسه يبعث رسالة مشفرة إلى التجار الانتهازيين الذين يرفعون أسعار السلع عند ندرتها، ويمتصّون دماء الناس ظلما.

الخطاب 3:وأمّا أهوائي فقد–والله–استعنت بالله عليها فأعانني، واستكفيته سوء مغالبتها فكفاني، فوالله ما آسى على ما أقبل من الدنيا ولا ما أدبر منها.

اشتمل هذا الخطاب على خمسة أسماء(أهوائي، اسم الجلالة "اللّه"، سوء، مغالبتها، الدّنيا)، كما اشتمل على سبعة أفعال:(استعنت، أعانني، استكفيته، كفاني، آسى، أقبل، أدبر)، وحرف الابتداء(الواو)، وأداة الشرط التي تفيد التفصيل(أمّا)، والأداة الرابطة التي تفيد جواب الشرط(الفاء)، وواو القسم، وحرفي العطف (الفاء والواو)، وحروف الجرّ(الباء، على، من)، وما النافية وما الموصولية، واستعمل الضمائر المتصلة والمستترة.

يشير إبراهيم بن أدهم في هذا الخطاب إلى أنّ المرء لا يبلغ درجة الورع إلّا إذا تغلّب على أهوائه، وهذا ما كان عليه هذا الزاهد الذي غالب أهواءه حتى تغلّب عليها، مستعينا بالله، مستكفيا إيّاه، وكانت الدنيا آخر اهتماماته، فلم يتحسر على ما فاته منها من متاعها، ولم يقلق على ما هو آت لأنّه يعلم أنّ القادم بيد حكيم خبير.

الخطاب 4:أشدّ الجهاد جهاد الهوى، من منع نفسه هواها فقد استراح من الدنيا وبلائها، وكان محفوظا معافى من أذاها

استعمل المرسل في هذا الخطاب تسعة أسماء (أشدّ، جهاد، الهوى، نفسه، الدنيا، بلاء، محفوظا، معافى، أذاها) وثلاثة أفعال(منع،استراح، كان)، واستعان بالاسم الموصول (من)، وحرفي العطف(الفاء والواو)، وحرف التحقيق (قد)، وحرف الجر(من)، كما أورد الضمائر المتصلة والمستترة.

يشير إبراهيم من خلال هذا الخطاب إلى أشدّ أنواع الجهاد وأعظمها؛ إنّه جهاد نفسك التي بين جنبيك فهو أشدّ من جهاد العدوّ، فمن نجح في ذلك فقد استراح من بلاء الدنيا وأذاها الذي يؤدّي إلى الهلاك والضياع، وخسران الآخرة.

الخطاب5:قلة الحرص والطمع تورِث الصدق والورع، وكثرة الحرص والطمع تورث الهم والجزع

وظّف المرسل في هذا الخطاب ثمانية أسماء(قلة، الحرص، الطمع ، الصدق، الورع، كثرة، الهم، الجزع) بينما اكتفى بفعل واحد (تورّث) كرره مرتين، وحرف العطف (الواو)، وضميرا مستترا.

هذا الخطاب عبارة عن حكمة بالغة أدركها إبراهيم من خلال تجربته في الحياة، وأراد تبليغها لكل مسلم، وتتمثّل في أنّ كثرة الحرص والطمع تفقد الإنسان صفتي الصدق والورع، وتورّثه في مقابل ذلك الهمّ والجزع.

الخطاب 6: مَنْ عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل، ومن أطلق بصره طال أسفه، ومن أطلق أمله ساء عمله، ومن أطلق لسانه قتل نفسه.

أورد المرسل في هذا الخطاب ستة أسماء (بصره، أسفه، أمله ، عمله، لسانه، نفسه)، وثمانية أفعال(عرف، يطلب، هان ، يبذل، أطلق، طال، ساء، قتل)، والاسمين الموصولين(من، ما)، وحرف العطف (الواو)، وحرف الجرّ(على)، وضمائر متصلة ومستترة.

يحيلنا هذا الخطاب إلى معان روحية استقاها إبراهيم من كتاب الله وسنّة رسوله، تفيد أنّ سلعة الله –وهي الجنّة– غالية وكل ما نبذله في سبيلها يهون ويرخص، وأنّ إطالة البصر والطمع فيما عند النّاس يجعل الإنسان يتجرّع مرارة الحسرة والألم ولا يأخذ إلا ما كتبه الله له، وأنّ من طال أمله وتعلّق قلبه بالدنيا فسد عمله، ومن أطلق لسانه باللغو و إيذاء الخلق قتل نفسه ولحقه الضرر قبل أن يُلحقه بغيره .

الخطاب 7: اعلم أنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات: أولاها أن تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة، والثانية أن تغلق باب العز وتفتح باب الذل، والثالثة أن تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد، والرابعة أن تغلق باب النوم وتفتح باب السهر، والخامسة أن تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر، والسادسة أن تغلق باب الأمل وتفتح باب الاستعداد للموت"

استعان المرسل في تشكيل هذا الخطاب بأربعة وعشرين اسما (درجة، الصالحين، ست، عقبات، أولاها، باب، النعمة، الشدة، الثانية، العز، الذل، الثالثة، الراحة، الجهد، الرابعة، النوم، السهر، الخامسة، الغنى، الفقر، السادسة، الأمل الاستعداد، الموت)، كما استعان بخمسة أفعال(اعلم، تنال، تجوز، تغلق، تفتح)، واستعمل أداة التوكيد (أنّ)، وأداتي النصب(حتى، وأن)وحرف العطف (الواو)، وضمائر متصلة ومستترة.

في هذا الخطاب يوصينا إبراهيم بن أدهم بتجاوز ست عقبات حتى ننال درجة الصالحين ، أمّا الأولى فتتمثّل في غلق باب النعمة وفتح باب الشدّة ، أي أن يعوّد المرء نفسه على حياة الشدّة ويترك حياة النعيم، وهذا المعنى أخذه من قوله (ﷺ) :"اخشوشنوا فإنّ النعيم لا يدوم"، وأمّا الثانية فتتمثّل في غلق باب العزّ وفتح باب الذل، أي أنّ على المرء أن يدرك أنّ عزّ الدنيا زائل وأنّ العزّ الحقيقي هو في التذلل بين يدي الله، وأمّا الثالثة فيوصينا فيها بغلق باب الراحة وفتح باب الجهد، أي على المرء أن لا يركن إلى الراحة بل يشمّر على سواعد العمل ؛ لأنّ الدنيا دار عمل والراحة الحقيقية هي راحة الجنّة التي أعدّها الله لعباده الصالحين، وأمّا الرابعة فيتحدّث فيها عن غلق باب النوم وفتح باب السهر، أي أن يجاهد المرء نفسه في ترك النوم ليستفرد بمناجاة الله في أوقات الخلوات النفيسة، وأمّا الخامسة فيؤكّد فيها على غلق باب الغنى وفتح باب الفقر، أي أن يزهد الإنسان في هذه الدنيا ويترك الملذّات ويعيش حياة الفقراء الطامعين فيما عند الله، حتى يقهر نفسه ويؤدّبها على أن لا تطمع إلّا في ما عند الله، وأمّا السادسة فإنّه يشير فيها إلى معنى لا يقلّ أهمية عن سابقيه ويتمثّل في غلق باب الأمل وفتح باب الاستعداد للموت، أي أنّ على المرء أن يكون قصير الأمل حتى لا يتعلّق قلبه بدنيا زائلة ويستعدّ في مقابل ذلك ليوم الرحيل وبذلك يحسن عمله ويتزوّد لآخرته من خير الزاد.

الخطاب 8:

رأيتُ الذنـوبَ تمـيـتُ القـلـوب ويـورث الذلَّ إدمانُــهـا

وتـركُ الذنـوب حيـاةُ الـقلـوبِ وخيـرٌ لنفـسـكَ عصيانُـها
ومـا أفسـد الديـنَ إلا الملـوكُ وأحبـار سـوءٍ ورُهبـانُـهـا
وبـاعـوا النـفـوسَ فـلـم يربَحـوا ولم تغلُ في البيـع أثمـانُها
لقَـد رتـعَ القـومُ في جيـــفـةٍ يبيـنُ لذي العـقلِ أنتانُها

هذا الخطاب يتمثّل في خمسة أبيات شعرية، حوت ثلاثة وعشرين اسما(الذنوب، القلوب، الذلّ، إدمانها، ترك، حياة، خير، نفسك، عصيانها، أفسد، الدين، الملوك، أحبار، سوء، رهبانها، النفوس، البيع، أثمانها، القوم، جيفة، ذي، العقل، أنتانها)، وأورد فيها تسعة أفعال (رأيت، تميت، يورث، أفسد، باعوا، يربحوا، تغل، رتع، يبين)، بالإضافة إلى حرفي العطف (الواو والفاء)، والاسم الموصول(ما)، وأداة الجزم (لم) وحرفي الجر(اللام، وفي) وأداة الاستثناء (إلّا)، وحروف التحقيق(اللام وقد)، كما وظّف ضمائر متصلة ومستترة.

يؤكّد إبراهيم بن أدهم في هذه الأبيات على ما تحدثه الذنوب في القلوب، فهي تسبّب موتها البطيء، ولا سبيل لإعادة الحياة فيها إلّا بتركها، كما يشير إلى أنّ الملوك وأحبار السوء ورهبانها يفسدون الدين لأنّهم باعوا نفوسهم لمن لا يستحقّها، ورتعوا في جيفة لم يبن إنتانها إلّا لذي لبّ نجّاه الله من الوقوع فيما وقعوا فيه

الخطاب 9: نرقّع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقّع

وظّف المرسل في هذا الخطاب ثلاثة أسماء(دنيانا، تمزيق، ديننا)، وفعلين (نرقّع، يبقى)، وحرف الجرّ (الباء)، وحرفي العطف (الفاء، والواو)، والاسم الموصول ما، وضمائر متصلة ومستترة.

في هذا البيت يحيلنا إبراهيم بن أدهم على معنى خفي لا ينتبه إليه إلّا من أنار الإيمان قلبه، والمتمثّل في الفهم الخاطئ للدين، فيأخذ من أخطأ الفهم منه ما يتماشى مع أهوائه ويترك ما يخالفها، فيخسر بذلك دينه ودنياه.

الخطاب 10: قال شقيق بن إبراهيم :"مرّ إبراهيم بن أدهم في أسواق البصرة ، فاجتمع الناس إليه، فقالوا له: يا أبا إسحاق إن الله تعالى يقول في كتابه: (**وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِيَ أَسْتَجِبْ لَكُمْ**)(غافر 60) ونحن ندعوه منذ دهر فلا يستجيب لنا، قال: فقال إبراهيم: يا أهل البصرة ماتت قلوبكم في عشرة أشياء: أولها: عرفتم الله ولم تؤدوا حقه، الثاني: قرأتم كتاب الله و لم تعملوا به، والثالث: ادعيتم حب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتركتم سنته، والرابع: ادعيتم عداوة الشيطان ووافقتموه، والخامس: قلتم نحب الجنة و لم تعملوا لها، والسادس: قلتم نخاف النار وزهدتم أنفسكم بها، والسابع: قلتم أن الموت حق و لم تستعدوا له، والثامن: اشتغلتم بعيوب إخوانكم ونبذتم عيوبكم، والتاسع: أكلتم نعمة ربكم و لم تشكروها، والعاشر: دفنتم موتاكم و لم تعتبروا بهم(الأصفهاني، الصفحات ج7 ص16-15).

استعمل إبراهيم بن أدهم في هذا الخطاب: 33 اسما(أهل، البصرة، قلوبكم، عشرة، أشياء، أولها، الله ، حقه، الثاني، كتاب، الثالث، حب، رسول،سنته، الرابع، عداوة، الشيطان،الخامس، الجنة ،السادس، ،النار، أنفسكم، السابع، الموت، حق، الثامن، عيوب، إخوانكم، التاسع، نعمة، ربكم، العاشر، موتاكم) ووظّف 22 فعلا (ماتت ،عرفتم، تؤدوا، قرأتم ،تعملوا، ادعيتم، تركتم، ادعيتم، وافقتموه، قلتم، نحب ، تعملوا، قلتم، نخاف ، زهدتم ، تستعدوا ، اشتغلتم ، نبذتم ، أكلتم ، تشكروها، دفنتم، تعتبروا).

كما وظّف حرف النداء (يا)، وحروف الجرّ (في، والباء، واللام)، وحرف العطف(الواو)، وأداة الجزم (لم)، و الضمائر المتصلة والمستترة.

في هذه الوصية يذكّر إبراهيم بن أدهم أهل البصرة الذين يشتكون من عدم استجابة الدعاء أن السبب في ذلك يعود إلى عشرة أشياء أولها:عرفتم الله و لم تؤدوا حقه أي: أنهم عرفوا الله لكنهم تقاعسوا عن أداء حقوقه عليهم وتركوا واجباتهم الشرعية، والثاني قرأتم كتاب الله و لم تعملوا به، أي: إنّ كتاب الله بين أيديكم لكن أعرضتم عنه وخالفتم أحكامه، والثالث: ادعيتم حب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتركتم سنته،أي: تقولون نحبّ رسول الله بينما أفعالكم تخالف أقوالكم؛ لأنّكم هجرتم سنة نبيكم، والرابع:ادعيتم عداوة الشيطان ووافقتموه، أي: إنّكم تزعمون أنّ الشيطان لكم عدوّ ولكنّكم وافقتموه واقتفيتم أثره، والخامس، قلتم نحب الجنة و لم تعملوا لها، أي: ادعيتم حب الجنّة ولكنكم لم تقدّموا أعمالا تُؤهلكم لدخولها، والسادس: قلتم نخاف النار وزهدتم أنفسكم بها، أي: زعمتم أنّكم تخافون النّار ولكنكم

حبستم أنفسكم عليها بأعمال توقعكم فيها، والسابع: قلتم أن الموت حق و لم تستعدوا له، أي إنّكم تقرّون بأنّ الموت حق ولكنكم لم تستعدّوا له وللقاء الله والثامن: اشتغلتم بعيوب إخوانكم ونبذتم عيوبكم، أي إنّكم تذكرون عيوب النّاس وتتبعون عثراتهم وتغضّون الطرف عن عيوبكم وتقصيركم في حقّ الله، والتاسع: أكلتم نعمة ربكم و لم تشكروها، أي إنّكم تغرقون في نعم الله التي لا تعدّ ولا تحصى ولا تقابلوها بالشكر، والعاشر: دفنتم موتاكم و لم تعتبروا بهم، أي: إنّكم تدفنون موتاكم في كلّ حين ولكن لا تعتبرون ولا تتعظون بذلك فالموت يأتي بغتة وأنتم في غفلة من هذا.

الخطاب 11: قدّم المرسل خطابا زاوج فيه بين الأسماء والأفعال، حيث بلغ عدد الأسماء 22 اسما (الناس، مشغولين أمر، الدنيا،الآخرة، تزيين، ظواهرهم، بواطنكم،عمارة، البساتين، القصور، القبور، خدمة ، المخلوقين، رب، العالمين،عيوب، الناس، أنفسكم، الدنيا، زادا، الآخرة) بينما اكتفى بأربعة أفعال: (رأيتم، اشتغلوا ، اتخذوا، يوصلكم)، كما وظّف أداة الشرط (إذا)، وحروف الجرّ (الباء، ومن، وإلى)، وحرفي العطف (الواو والفاء)، وأداة القصر(إنّما)، و استعمل ضمائر متصلة ومستترة وضميرا منفصلا(أنتم).

في هذه الوصية ينبّه إبراهيم النّاس إلى ما يجعل الإنسان يرتقي في مدارج السالكين، وتتمثّل هذه الوصايا في ضرورة اشتغالنا بأمر الآخرة بدل الاشتغال بأمر الدنيا، وضرورة الاهتمام بتجميل الباطن بدل الاهتمام بتزيين الظاهر، ووجوب المسارعة إلى عمارة القبور بأعمال صالحة يصطحبها المرء عند موته، بدل الحرص على عمارة قصور الدنيا وبساتينها، وكذا الإسراع إلى خدمة خالق المخلوقات بدل التنافس على خدمة المخلوقين، وأخيرا الاشتغال بعيوبنا وذنوبنا وتقصيرنا لإصلاح ما ينبغي إصلاحه بدل الاشتغال بعيوب النّاس وتصيّد عثراتهم.

2.2.8.الحقول المعجمية: من خلال استعراضنا للمعجم اللّغوي الذي استعمله إبراهيم بن أدهم في النماذج المختارة، يمكن تصنيف ثلاثة حقول معجمية: حقل العمل ، حقل الجزاء، وحقل العقوبة، وهذا جدول يوضّح هذه الحقول:

النموذج	حقل العمل المقدّم	حقل الجزاء	حقل العقوبة
01	أطب مطعمك(تحري الحلال)	لا حرج عليك أن لا تقوم الليل، ولا تصوم النّهار(علو المنزلة عند الله)	
02	وإذا غلا شيء عليّ تركته (ضبط النفس)	فيكون أرخص ما يكون إذا غلا(القناعة وراحة البال)	
03	وأمّا أهوائي فقد–والله–استعنت بالله عليها فأعانني(الاستعانة بالله على التغلب على الأهواء)واستكفيته سوء مغالبتها فكفاني،(طلب الكفاية من الله على مغالبتها)	فوالله ما آسى على ما أقبل من الدنيا ولا ما أدبر منها (استصغار الدنيا)	
04	أشدّ الجهاد جهاد الهوى، من منع نفسه هواها (مجاهدة الهوى)	فقد استراح من الدنيا وبلائها،وكان محفوظا معافى من أذاها(الراحة في الدنيا والنجاة من بلائها)	
05	قلة الحرص والطمع (القناعة)	تورِث الصدق والورع	
	وكثرة الحرص والطمع		تورث الهم والجزع
06	مَنْ عرف ما يطلب (علو الهمّة)	هان عليه ما يبذل(التمكن من	

		تحدي الصعاب)	
	ومن أطلق بصره (الجشع)		طال أسفه (الحسرة)
	ومن أطلق أمله (طول الأمل)		ساء عمله(فساد العمل)
	ومن أطلق لسانه (الثرثرة والغيبة والنميمة)		قتل نفسه (الموت المعنوي)
07	أولاها أن تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة(الزهد) والثانية أن تغلق باب العز وتفتح باب الذل(التذلل إلى الله) والثالثة أن تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد(بذل الجهد) والرابعة أن تغلق باب النوم وتفتح باب السهر(قيام اللّيل) والخامسة أن تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر(الزهد) والسادسة أن تغلق باب الأمل وتفتح باب الاستعداد للموت(قصر الأمل والاستعداد للرحيل)	درجة الصالحين	
08	رأيتُ الذنوبَ(كثرة الذنوب)		تميتُ القلوب (موت القلب)
	إدمانُها(إدمان الذنوب)		يورث الذلَّ (الذلّ)
	تركُ الذنوب(الكف عن الذنوب)	حياةُ القلوبِ	
	عصيانُها(عصيان النفس)	خيرٌ لنفسكَ (نجاة النفس)	
	الملوك وأحبار سوءٍ ورُهبانُها(ظلم الملوك، وعلماء السوء)		وما أفسد الدينَ (إفساد الدين)
	وباعوا النفوسَ(بيع النفس للشيطان)		فلم يربَحوا ولم تغلُ في البيع أثمانُها (الهلاك والخسران)
	لقَد رتعَ القومُ في جيفةٍ (الوقوع في مستنقع الدنيا)	يبينُ لذي العقلِ أنتانُها (البصيرة للمؤمن)	التلطّخ بوحل الذنوب
09	نرقّع دنيانا بتمزيق ديننا (شراء الدين بالدنيا)		فلا ديننا يبقى ولا ما نرقّع (ضياع الدين والدنيا معا)
10	موت القلوب بسبب عشرة أمور: معرفة الله مع عدم أداء حقه، و قراءة كتاب الله مع عدم العمل به، وادعاء حب رسول الله مع ترك سنته، وادعاء عداوة الشيطان مع موافقته، ادعاء حب الجنة مع	عدم استجابة الدعاء	

	عدم السعي لها، وادعاء الخوف من النار مع مطاوعة النفوس، و القول بأنّ الموت حق مع عدم الاستعداد له، و الاشتغال بعيوب الناس مع الغفلة عن عيوب النفس، وأكل نعمة الله مع عدم شكرها، ودفن الموتى مع عدم الاعتبار بهم		
11	إذا رأيتم الناس مشغولين بأمر الدنيا فاشتغلوا أنتم بأمر الآخرة(الاشتغال بأمر الآخرة لا الدنيا).وإذا اشتغلوا بتزيين ظواهرهم، فاشتغلوا بتزيين بواطنكم(الاشتغال بتزيين الباطن لا الظاهر)وإذا اشتغلوا بعمارة البساتين والقصور، فاشتغلوا بعمارة القبور(الاشتغال بتزيين القبور لا القصور).واذا اشتغلوا بخدمة المخلوقين، فاشتغلوا بخدمة رب العالمين(الاشتغال بخدمة الخالق لا المخلوقين)،واذا اشتغلوا بعيوب الناس، فاشتغلوا بعيوب أنفسكم(الاشتغال بعيوب النفس لا الآخرين. واتخذوا من هذه الدنيا زادا يوصلكم الى الآخرة(اتخاذ الدنيا معبرا للآخرة).	فانما الدنيا مزرعة الآخرة (الحصاد وقطف الثمار في الآخرة)	

التعليق:نلاحظ من خلال هذا الجدول أنّ المعجم الذي استعمله إبراهيم بن أدهم في خطابه يتناسب مع المقام الذي يستدعيه، والمتمثّل في مقام الوعظ والإرشاد والتوجيه، ولذلك لم يخرج المعجم المستعمل عن ثلاثة حقول(حقل العمل المقدّم، وحقل الجزاء، وحقل العقوبة)، كما تعكس الحالة الشعورية التي يعيشها الواعظ، المتمثّلة في اهتمامه بأمر الناس، وحرصه الشديد على هدايتهم واستقامتهم، والأخذ بأيديهم إلى طريق الفلاح.والملاحظ أنّ هذا المعجم اللّغوي يتسم بوضوح الدلالة، وجمال العبارة، وتحقيق القصد.

3.2.8.المستوى التركيبي: سنقتصر قي المستوى التركيبي على تحديد الجمل الاسمية والجمل الفعلية في النماذج المختارة:

النموذج	الجمل الاسمية	الجمل الفعلية
01		أطب مطعمك ولا حرج عليك أن لا تقوم الليل، ولا تصوم النّهار (جملة شرطية تحوي فعل الشرط وجوابه)
02	فيكون أرخص ما يكون إذا غلا(جملة اسمية منسوخة تتكون من اسم يكون وخبرها)	وإذا غلا شيء عليّ تركته (جملة شرطية تتكون من فعل الشرط وجوابه)
03	وأمّا أهوائي فقد–والله–استعنت بالله عليها فأعانني، واستكفيته سوء مغالبتها فكفاني، فوالله ما آسى على ما أقبل من الدنيا ولا	

	ما أدبر منها(جملة اسمية شرطية تتكون من جملة الشرط وجوابها)	
04	أشدّ الجهاد جهاد الهوى من منع نفسه هواها فقد استراح من الدنيا وبلائها وكان محفوظا معافى من أذاها (جملة اسمية خبرية تتكون من مبتدأ وخبر)	
05	قلة الحرص والطمع تورِث الصدق والورع، وكثرة الحرص والطمع تورث الهم والجزع(جملة اسمية خبرية تتكون من مبتدأ وخبر)	
06	مَنْ عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل، ومن أطلق بصره طال أسفه، ومن أطلق أمله ساء عمله، ومن أطلق لسانه قتل نفسه(جملة اسمية شرطية تتكون من جملة الشرط وجوابها)	
07		اعلم أنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات: أولاها أن تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة، والثانية أن تغلق باب العز وتفتح باب الذل، والثالثة أن تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد، والرابعة أن تغلق باب النوم وتفتح باب السهر، والخامسة أن تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر، والسادسة أن تغلق باب الأمل وتفتح باب الاستعداد للموت(جملة فعلية شرطية)
08	وتركُ الذنوب حياةُ القلوبِ وخيرٌ لنفسكَ عصيانُها (جملة اسمية تتكون من مبتدأ وخبر)	رأيتُ الذنوبَ تميتُ القلوب ويورث الذلَّ إدمانُها وما أفسد الدينَ إلا الملوكُ وأحبار سوءٍ ورُهبانُها وباعوا النفوسَ فلم يربَحوا ولم تغلُ في البيع أثمانُها لقَد رتعَ القومُ في جيفةٍ يبينُ لذي العقلِ أنتانُها (أربع جمل فعلية خبرية)
09	فلا ديننا يبقى ولا ما نرقّع(جملة اسمية خبرية)	نرقّع دنيانا بتمزيق ديننا (جملة فعلية خبرية)
10		يا أهل البصرة ماتت قلوبكم في عشرة أشياء: عرفتم الله ولم تؤدوا حقه قرأتم كتاب الله و لم تعملوا به، ادعيتم حب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتركتم سنته ادعيتم عداوة الشيطان

		ووافقتموه قلتم نحب الجنة و لم تعملوا لها قلتم نخاف النار وزهدتم أنفسكم بها، قلتم أن الموت حق و لم تستعدوا له، اشتغلتم بعيوب إخوانكم ونبذتم عيوبكم أكلتم نعمة ربكم و لم تشكروها دفنتم موتاكم و لم تعتبروا بهم (مجموعة من الجمل الفعلية)
11		إذا رأيتم الناس مشغولين بأمر الدنيا، فاشتغلوا أنتم بأمر الآخرة.وإذا اشتغلوا بتزيين ظواهرهم، فاشتغلوا بتزيين بواطنكم،وإذا اشتغلوا بعمارة البساتين والقصور، فاشتغلوا بعمارة القبور.واذا اشتغلوا بخدمة المخلوقين، فاشتغلوا بخدمة رب العالمين،واذا اشتغلوا بعيوب الناس، فاشتغلوا بعيوب أنفسكم. واتخذوا من هذه الدنيا زادا يوصلكم الى الآخرة، فانما الدنيا مزرعة الآخرة .(مجموعة من الجمل الفعلية الشرطية)

التعليق:

نستنتج من خلال الجدول السابق أنّ إبراهيم بن أدهم قد زاوج بين الجمل الاسمية، والجمل الفعلية ، وكان للمقام دور في تحديد نوع الجمل المستعملة، ففي مقام الوعظ العام أو غير المباشر، كان يكثر من استعمال الجمل الاسمية ، بينما في مقام الوعظ الخاص أو المباشر كان يستعمل الجملة الفعلية وخاصّة التي تبدأ بفعل أمر أو نهي أو نداء، وكما هو معلوم في علم المعاني فإنّ الجمل الاسمية تدلّ على الاستقرار والثبات، بينما تدلّ الجمل الفعلية على الاستمرار و التجدّد والحركية والحدوث.

4.2.8.المستوى البلاغي:

1/الأساليب: تنوعت الأساليب التي استعملها إبراهيم بن أدهم بين الخبري والإنشائي، وهذان جدولان يوضّحان ذلك، الأوّل خاص بالأساليب الخبرية، والثاني بالأساليب الإنشائية:

جدول الأساليب الخبرية:

النموذج	الجملة الخبرية	نوع الأسلوب
02	وإذا غلا شيء عليّ تركته فيكون أرخص ما يكون إذا غلا	ابتدائي
03	وأمّا أهوائي فقد–والله–استعنت بالله عليها فأعانني، واستكفيته سوء مغالبتها فكفاني، فوالله ما آسى على ما أقبل من الدنيا ولا ما أدبر منها	إنكاري
04	أشدّ الجهاد جهاد الهوى من منع نفسه هواها فقد استراح من الدنيا وبلائها وكان محفوظا معافى من أذاها	ابتدائي
05	قلة الحرص والطمع تورِث الصدق والورع، وكثرة الحرص والطمع تورث الهم والجزع	ابتدائي

06	مَنْ عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل، ومن أطلق بصره طال أسفه، ومن أطلق أمله ساء عمله، ومن أطلق لسانه قتل نفسه	ابتدائي
08	رأيتُ الذنوبَ تميتُ القلوب ويورث الذلَّ إدمانُها	ابتدائي
	وتركُ الذنوب حياةُ القلوبِ وخيرٌ لنفسكَ عصيانُها	ابتدائي
	وما أفسد الدينَ إلا الملوكُ وأحبار سوءٍ ورُهبانُها	ابتدائي
	وباعوا النفوسَ فلم يربَحوا ولم تغلُ في البيع أثمانُها	ابتدائي
	لقَد رتعَ القومُ في جيفةٍ يبينُ لذي العقلِ أنتانُها	إنكاري
09	نرقّع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقّع	ابتدائي
10	عرفتم الله ولم تؤدوا حقه قرأتم كتاب الله و لم تعملوا به ادعيتم حب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتركتم سنته ادعيتم عداوة الشيطان ووافقتموه قلتم نحب الجنة و لم تعملوا لها قلتم نخاف النار وزهدتم أنفسكم بها قلتم أن الموت حق و لم تستعدوا له اشتغلتم بعيوب إخوانكم ونبذتم عيوبكم أكلتم نعمة ربكم و لم تشكروها دفنتم موتاكم و لم تعتبروا بهم	كل الجمل تمثّل أساليب خبرية ابتدائية إلا جملة :(قلتم أن الموت حق و لم تستعدوا له) فهي أسلوب خبري طلبي

–جدول الأساليب الإنشائية:

النموذج	الجملة الإنشائية	صيغة الأسلوب
01	أطب مطعمك ولا حرج عليك أن لا تقوم الليل، ولا تصوم النّهار	الأمر
07	اعلم أنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات.... باب الاستعداد للموت	الأمر
10	يا أهل البصرة ماتت قلوبكم في عشرة أشياء	النداء
11	إذا رأيتم الناس مشغولين بأمر الدنيا، فاشتغلوا أنتم بأمر الآخرة... فانما الدنيا مزرعة الآخرة" .	الأمر

–المحسّنات البديعية:

استعمل إبراهيم بن أدهم مجموعة من المحسنات البديعية في النماذج المختارة، ومن ذلك :

الطباق:

-النموذج 01 (الليل / النهار)

-النموذج 02 (غلا/ أرخص)

-النموذج 03 (أقبل/ أدبر)

-النموذج07:(تفتح/تغلق) (النعمة/ الشدّة)، (العز/الذل)، (الراحة/ الجهد)، (النوم/ السهر)، (الغنى/ الفقر).

-النموذج 08 (تميت، حياة)

-النموذج 09: (الدين/ الدنيا)، (نرقّع/ تمزيق).

-النموذج10:(الجنّة/ النار)

-النموذج 11:(الدنيا/الآخرة)، (ظواهرهم/بواطنهم)، (القصور/القبور)

السجع:

-النموذج 01: (تقوم، تصوم)

-النموذج 03: (استعنت،استكفيت)، (أعانني، كفاني)

-النموذج04: (هواها، بلائها، أذاها)

-النموذج 05(الطمع، الورع، الجزع)

-النموذج 06:(أسفه، أمله، عمله، لسانه، نفسه)

الصور البيانية:

-النموذج 03: استعارة مكنية في قوله:"واستكفيته سوء مغالبتها فكفاني" فقد شبّه الأهواء بالعدو الذي يصارعه ، فحذف المشبه به (العدو) وأبقى على لازم من لوازمه وهو (سوء مغالبتها)

-النموذج 08:استعارة مكنية في قوله: "رأيتُ الذنوبَ تميتُ القلوب" فقد شبّه الذنوب بالعدو القاتل ، وحذف المشبّه به(العدو القاتل)، وأبقى على لازم من لوازمه (تميت). واستعمل استعارة مكنية أخرى في قوله :(وباعوا النفوسَ) حيث شبّه النفوس بالسلعة التي تباع، فحذف المشبه به (السلعة التي تباع)، وأبقى على لازم من لوازمه (باعوا).

الكناية في قوله: (لقَد رتعَ القومُ في جيفةٍ يبينُ لذي العقلِ أنتانُها)، فقد كنّى عن الفساد الذي أحدثه ظلم الملوك وتشجيع علماء السوء لهم، الذين لم يقوموا بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمرتع جيف يرتعون فيه ويأكلون منه، وهم في غفلة عما آلوا إليه لا يسلم منها إلا لبيب عاقل.

-النموذج 09:الاستعارة المكنية في قوله: "نرقّع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقّع " فقد شبّه الدنيا والدين كليهما بالثوب الذي يرقع بعد التمزيق، وحذف المشبّه به (الثوب) وأبقى على لازم من لوازمه(نرقّع، تمزيق).

-النموذج 10:التشبيه البليغ في قوله:"فانما الدنيا مزرعة الآخرة"، فقد شبّه الدنيا بالمزرعة التي نحصد ثمارها في الآخرة.

التعليق:

من خلال استعراضنا لأنواع الأساليب التي وردت في النماذج المختارة نستنتج أنّ إبراهيم بن أدهم قد زاوج بين الأسلوبين الخبري والإنشائي، ويعود ذلك إلى اختلاف مقام الوعظ الذي يحدّد نوع الأسلوب، كما لاحظنا أنّه كان يميل إلى الخبر الإنكاري، في الأساليب الخبرية فيستعمل أكثر من أداة توكيد كما في النماذج 03 و08 تأكيدا وترسيخا للمعنى الذي يقصده. وأمّا في الأساليب الإنشائية فقد استعمل صيغ الأمر والنهي والنداء التي تتناسب مع مقام الوعظ كما في النماذج 01، 07 و10 و11. وما تجدر الإشارة إليه أنّ أسلوب

الشرط كان حاضرا بقوة في خطاب إبراهيم بن أدهم لمناسبته مقام النصح والإرشاد، ولإقامة الحجّة على المعاني التي يوردها ، ومن ذلك ما جاء في النماذج 01، و02، و06إلخ...

وأمّا في المستوى البلاغي فقد وظّف إبراهيم بن أدهم في خطابه مجموعة من المحسّنات البديعية، ومنها الطباق الذي كان حضوره بارزا، ممّا ساعد على وضوح المعاني المقصودة وتجليتها وتأكيدها، فبضدّها تتميّز الأشياء، كما وظّف السجع فجاءت فواصل بعض الكلمات متوافقة ، وهذا ما أحدث نغما موسيقيا تطرب له الأذن، ولم يخل خطاب إبراهيم بن أدهم من بعض الصور البيانية كالتشبيه البليغ، والاستعارة المكنية، والكناية، ممّا ساهم في تجسيد المعاني ووضوحها و تقويتها وتأكيدها، وأضفى على الخطاب جمال العبارة وقوّة الحجّة وشدّة التأثير، وهذا ما يتطلبه الخطاب الوعظي الذي يعتمد في إيصال رسالته وتحقيق مقصوده على اختيار المفردة الواضحة والعبارة الدّالة والحجّة البالغة.

9.الخاتمة:

وبعد أن تعرّفنا على تجربة إبراهيم بن أدهم الصوفية وبعد وقوفنا على خطابه الصوفي السني يمكن أن نؤكّد أنّ تجربته الصوفية كانت أصيلة ارتبطت في كلّ محطّاتها بكتاب الله وسنّة رسوله، وأنّ خطابه الصوفي لم يخرج في كلّ جوانبه عمّا أقرّته شريعة الإسلام فيما يتعلّق بصلة الإنسان بربّه وفيما يتعلّق بحقيقة الوجود وبعالم الغيبيات.

كما يمكن اعتبار هذا الخطاب الصوفي وكلّ خطاب صوفي أصيل مشروعًا إصلاحيًّا مجتمعيًّا، له تأثيره الروحي المتميز،الذي يقوم على تقويم سلوك الأفراد والجماعات وزرع الفكر الإسلامي المستنير الذي ينشر الأخلاق، و يواجه موجات العنف والكراهية التي باتت تتنامى في ظل انتشار الخطابات الدينية المتشددة.

كما يمكن أن نقف في هذا النوع من الخطاب الصوفي على البعد الإنساني فيه و الذي تأسّس على تقدير قيمة الإنسان بين الموجودات، الذي اضطلع بأمانة كبرى عجزت عن حملها السماوات والأرض تماشيا مع ما يؤكده الخطاب القرآني.

المصادر والمراجع:

آبادي, ا1426) .هـ-2005م .(*القاموس المحيط*(ج 8) بيروت لبنان: مؤسّسة الرسالة.

أحمد, هـ. ع .(03 03 ,2019) .حليل الخطاب .*مؤسسة النور للثقافة والإعلام*.

أدهم, إ. ب .(دت) *مسند إبراهيم بن أدهم* .مكتبة القرآن.

.الأصفهاني .(1996) .*حلية الأولياء وطقات الأصفياء(ط 8)* بيروت لبنان: مكتبة الخانجي القاهرة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

التفتازاني .(1989) .*مدخل إلى علم التصوّف الإسلامي*(ج3) القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع.

.الجابري, م. ع .(1994) .*الخطاب العربي المعاصر دراسة تحليلية نقدية*(ط5) بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

الحريفيش .(1308) .*كتاب الروض الفائق في المواعظ والرقائق*(ط1) المطبعة العامرة الشرقية.

..الذهبي, ش. ا .(دت) .*سير أعلام النبلاء* .بيروت: مؤسسة الرسالة.

العربية, م. ا .(2004) .*المعجم الوسيط* .مجمع اللّغة العربية مكتبة الشروق الدولية.

القشيري .(2001) .*الرسالة القشيرية* .بيروت لبنان: دار الكتب العلمسية بيروت لبنان.

النبهاني, ي. ب.(دت) *جامع كرامات الأوليا(ج1)* .مركز أهلسنت بركات رضا.

تودروف, ت .(1993) .*اللغة والأدب في الخطاب الأدبي* .بيروت: المركز الثقافي العربي.

خالد, ح .(2012) .*الخطاب الإسلامي المعاصر* .

شولتز, ر .(1993) .*السيمياء والتأويل* .بيروت: المركز الثقافي.

عياشي, م .(1990) .*مقالات في الأسلوبية* (ط1) دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

فوكو, م .(1987) .*حفريات المعرفة* .الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

كثير, ا. ب .(1990) .*البداية والنهاية*(ج10) (ط8) .بيروت لبنان: مكتبة المعارف، بيروت لبنان.

ماري, ش. أ .(2006) .*الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوّف* (ج1) منشورات الجمل بغداد.

مسلم, ا .(1427-2006) .*صحيح مسلم* (ج1) .دار طيبة.

منظور, أ. ا .(1965) .*لسان العرب* .بيروت: دار صادر للطباعة والنشر.

نيا, ا. ف .(دت) .تحليل الخطاب الأدبي في نهج البلاغة .*نهج البلاغة*.

يقطين, س .(1997) .*تحليل الخطاب الروائي الزمن، التبئير* (ج2) .بيروت: المركز الثقافي العربي.